

إلى أُمِّي الطنطاوي

ولكنها دمشق ! . . .

للأستاذ شكري فيصل



[سبلح القراء في هذه الكلمة بعض النواحي الشخصية . . .
ولكنهم سيبدون صورة من صور الصراع النبيل القوي
في الحياة . . . وليس أحق من الدكتور « زكي مبارك » :
شيخ المصاولات والطناولات في عالم الأدب ، بهذه القطعة . . .
فليقبلها في متكفئه الهادي . . . على طرف الصعراء]
« شكري »

أخي الأستاذ علي :

الآن أرسلتُ يدي بعد أن مسحت بهما دمتين اثنتين غشيتنا
عيني وأمهدرتنا على خدي كقطرات للندى الناعم حين يترقرق على
أوراق الزهر الرفاف في ربيع للنوطة للفائن . . . ولقد أخذت القلم
لأنك كتب لك ، وأنا لا أدري أي شيء كانت هاتان الدمتان . . .
أكانتا تطفئان نار الوله والحنين ، أم ترثيان لوضع البلاد المسكين ،
أم ترجان عن فرحة للقلب بالأمل المؤبد والنصر البين ؟ وهل

كنت أملك إلا هاتين الدمتين ، وإلا هذا القلم أفرغ إليه كلما
عبث في الشوق ، أو ماجت بي الذكرى ، أو استثارني الحب
لقد قرأت زفرتك هذه التي سطرتها بدم قلبك للفائز ،
وعزم شبابك المضطرب ؛ فبعثت في نفسي طمأناً كبيراً . . . بكل
ذكرياته وأحاديثه . . . ما كان أشد حرصي على أن أدفنه وأنطوي
عليه ؛ وأثارت في ذهني صور الماضي للبعيد بكل ما كان يصطرح
فيه من آمال ، وبفيض فيه من خواطر . . . ونعمت حيناً
بهذا الجور للمبق الذي فنتت به ، وعشت معك من جديد ساعات
تقلبت فيها مع الزمن الدائر ، وجريت مع الأيام المتعاقبة ،
وقرأت هذه الصفحات المشرقة التي خطتها بيدك في كتاب
الحياة ، وعاودت قراءتها وانتمت في نعيمها حيناً وفي شقاؤها
أحياناً . . . ومضيت مع فرحتها ضرة ، ومع شكاتها صرات ،
وخرجت وفي قلبي يقين ، وعلى شفقي ابتسامة ، وفي عيني بريق
من الأمل للضحك

لقد عرفتني ناشئاً حين كنت أسير مع أخيك بين المدرسة
والبيت . . . صغيرين وادعين . . . لا نعرف آلام الحياة ، ولا نغفه
مصاعب الدنيا ، ولا ندرك من هذا العالم إلا جنة المدرسة ونسيم
التلمذة وصفاء القلب . . . فكنت تلقاناً بالرعاية ، وتصلنا بالمعطف ،

بما جرت إليها وعدم الاستثناء عنها

مما تقدم يتبين أن تحقيق هذين الطالبين يمكن كلية الشريعة
من الاضطلاع برسالتها التي فرضها الله عليها فتشتق من عناصر
الفناء التي تحيط بها خلوداً وتتخذ من خصومها جنوداً وتشتق
طريقها في الحياة وهي أقوى يقيناً وأصلب عوداً

لهذا رفنا رسالتنا إلى ساحتكم وكلنا أمل في أنها ستجد
العناية من فضيلتكم وستظفر بالرضا من جانبكم ، لأنها ثمرة من
ثمرات غراسكم وبريق من نور قلبكم . أبقاكم الله للإسلام ذخراً
ولالأزهر نفراً .



(الرسالة) : ملنا أن الأستاذ الأكبر قد وعد بتحقيق المطلب الأول .
أما المطلب الثاني فوعد فضيلته بمفاوضة ولاية الأمور في فتح أبواب كلية
الحقوق أمام من يجيد الفرنسية من حملة الشهادة العالية من كلية الشريعة

أولاً : معرفة الملل المختلفة للمجتمع المصري والوقوف على
موطن الضعف في القانون الوضعي وكيف حاول الفن المصري
وضع للعلاج فلم يفلح فنستطيع أن نضع يد الأمة على مصدرائها
ومعين دوائها ونصف لها من التشريع الإسلامي علاجها على ضوء
للظروف وللبيئة المحيطة بها

ثانياً : نستطيع أن نحسن صوغ التشريع الإسلامي وتنسيقه ،
فن السلم به أن جمال للصيغة وحين للترتيب لها دخل كبير في
إقبال الأمة على أحكام الشريعة وتعرف نواحي للفضل فيها .
ولو أن سلفنا للتقريب قد رما في هذا من خير وصاغ تلك الأحكام
في الثوب الذي يلفت الأنظار إليها ، ويتمشى مع طرق للمرض
الحديث لما وصلنا إلى هذا الصير المؤلم

ثالثاً : بتحقيق هذه الرغبة نستطيع كلية الشريعة أن
تثبت أهلها للنهوض بأعباء الحياة التشريعية وأن تشر الأمة

وأن يصقله الحرمان حتى يكون إنساناً آخر في إحساسه المرهف
وشعوره النبيل ، وهواطفه المتدفقة

وهل تخلو حياة الأدباء من هذا الصراع العنيف بين النور
المتدفق التمر ، وبين الجهالة للكائية الممتدة ؟ وماذا يريدون منك
حين يحاولون بينك وبين التمدل ، ويحاولون أن يقصروك على
منصب « الأستاذ المماون » إلا أن يصرفوك عن الدعوة النبيلة
التي قدحت شررها ، وأترت نارها ، ونشرتها في كل قلب ؟ ...

نحن لم نخلق لهؤلاء البعثات ، وسيدهب أولئك الذين يتخذون
منقار للنسر وجناحه وغلبه . وستبقى رسالة دمشق الغالية ،
وستحتل الأذى ، وستدوق مرارة الحرمان اليوم ، لتبلغ حلاوة
الظفر غداً . وثق أنك لست وحدك في هذا الاضطهاد والحرمان ،
ولسكنها سبيل مرسوم ، وسهم مسموم ، يقذفون به عباد الله
الذين لا يستطيعون هن الرؤوس للمهالة اوحى الظهور للنفاق ،
وإلا فاقول ياسيدى وماذا يقول للناس عنا نحن هنا ؟ يمشون
بنا إلى القاهرة : أروع بلدان للشرق وأزخرها بالحياة والنشاط
لتمثل مدينة من أكرم المدن ، وأمة من أنبل الأمم ، ثم يدخلون
أن يسوا بيننا وبين البعثات الأخرى التي يوفدونها إلى باريس
وغير باريس ؟ فيقدمون لنا المرتب — والحياة بعقل اسانى
عن أن أقولها — جزءاً من خمسة أجزاء من مرتب عضو البعثة ...
كأن القاهرة بلد آخر غير باريس ... وكان للطلبة يأكلون هناك
ويصومون هنا ... أجل ! ... ولم لا يصومون ؟ ... في جوار
الأزهر ، وعلى مقربة من سيدنا الحسين ليتضاعف ثوابهم ،
ويجزل أجرهم ؟ ..

وأحسب أن الحرمان سيمتد بك وبإخوانك ؛ فاقا يؤذى
هؤلاء في الدنيا أكثر من الصراحة والحق ... ولكنك لن تنى
عن « رسالتك » ، ولن تتخلى عنها ... وإذا لم تجد في جماعات
الوزارة ، ورجالات الديوان ، من يمت إليك بسبب ، أو ينهض
مك في حق ... فتلك إرادة الله أن تكون صفحتك في كتاب
الحياة بريئة ، إلا من نصرته وتأيدته ... لقد اقتحمت الحياة ،
وصارعت أمواجها طغافاً ليس معك إلا والدتك عليها رحمة الله ...
ولقد حملت إخوتك على كفتيك في هذا الخضم الهائل ، وتمرضت
لألوان من الشدة ومن للتكد ، حتى صمدت بهم إلى هذه المنازل

وتفيض علينا ألواناً من الحنان ... فعرفتُ نيك الأخ البر ، وقد
حرمته الحياة من نعيم الأخوة ... وأفضيت إليك ذات يوم بكل
ما في نفسي ... بكل ما يموج فيها وما يضطرب عليها . فكنت
بمدى كثير السؤال عنى إن غبت ، كثير المنابة بي إن حضرت ،
وانترت صورة أخيك في ذهنك إلى صورتي فجملت منهما إنساناً
واحداً تضمر له أنيل الشهور وأصدق للمعاطفة ... ثم كانت إرادة
الله فانصرفت أنت إلى بغداد ، ومضى هو إلى باريس ، وسميت
أنا إلى القاهرة . وبقي « ناجي » وحده في دمشق برعى فيها عهود
العبا ومراتع الأنس ، وعمداً منها بالروح والريحان

وفي خلال هذه السنوات كنت أتمرف إلى نفسك للكبرة
وكان يتفتح لي منها آفاق وعوالم ، ولقد أكبرت فيك هذا الجلد
وهذا الصبر ... فما بالك تشكو اليوم ، وتنفث هذه للشكاة على حين
احتملت من قبل الأهوال والمشقات ، ضاحك للسن ، منطلق
الوجه ، لا تأبه ولا تهتم ؟ ولكن سامح الله قاسيون ، وهذه
للسهول النطلقة عند قدميه يدغدغها النسيم فقد شجبتك
واستأثرتك ...

... وهل كانت الأولى هذه الماية عن الأدب ، وهذا الإهمال
لللم ، وتلك الرعاية للجهلاء ؟ وهل كنت تأمل من هؤلاء الذين
عاشوا في الظلام أن يدركوا النور ، وأن يفتحوا عيونهم له ، وأن
يقفوا عن الوحي « الأرضي » الذي يسيرهم في كل ناحية ،
ومضى بهم في كل اتجاه ؟ وماذا كان حديثك لنا حين كنت
تبحث فينا حمية الأدب ، وعقيدة العلم ، إلا أننا سنصادف غداً
في معترك الحياة هذا الإنكار وهذا الجحود . وأنه يجب علينا أن
نصبر عليه ونصمد له ونعصى في مقاومته ، وأنتنا سنحمل في أيدينا
مشاعل الدعوة الكبرى التي تريدنا دمشق أن نهض بها ، وستصيب
النار المقدسة من أجسامنا فتكوى أكفنا وتثر الشر على أجسادنا
وتنالنا بما تنال به جنودها الخالصين من الامتحان والابتلاء ...
فلا يجب علينا أن نتخلى عنها ، لأنها دعوة الحق وللصدق والخير
تريد أن تنبث من جديد في دمشق لتم الدنيا ، وتبهز العالم
إن دنيا الأديب لن تخلو من أنماط من الجحود ... هكذا
قلت لنا ... وإن رسالته لتصادف ألواناً من الصعوبات ، وأسناناً
من المشقات ، حتى لكأن الله قد أراد له أن تصهره الشدائد ،

حبات للقلوب ، وأزهار الربيع ، وأغصان اللغار ، تاج الحب ...
 وإنها لتوقع لهم مع نسبات الأسائل التي تزخر بالعبق نشيد
 الإعجاب. وإن أصوات المآذن التي تنادي: الله أكبر ، الله أكبر ،
 خمس صرات في اليوم ، إنما تنبعث من أعماق قلب هذه المدينة
 تهيب بهؤلاء الأبناء أن يعضوا قدمها في دعوتهم وجهادهم لخلاصها
 من مغائن الباطل والضلالات

لقد هدأ الليل ، وسكن الناس ... وأخذت أستمع لهذه
 النسبات بمض القسوة ... وليس من حولي إلا حديث للقمر ،
 وهمسات للنجوم ... أحملها كل حينني لك ، وللأخوان السامرين ،
 وللجادة الخامسة ... وللغوظة الزهراء

... وألف تحية وسلام يا دمشق الحبيبة الوفية

شكري فيصل

(القاهرة)

وزارة المعارف العمومية

إعلان

المدرسة العلوية الدينية ببيلاذ
 اللايو في حاجة إلى ناظر لها من خريجي
 دار العلوم يتعاقد معها لمدة ثلاث سنوات
 بمرتب قدره عشرون جنهماً مصرياً في
 الشهر عدا السكن ومصاريف السفر .
 فمن يرغب في هذه الوظيفة من
 خريجي دار العلوم ممن زاولوا مهنة
 التدريس في المدارس «أميرية أو حرة»
 مدة لا تقل عن ثلاث سنوات -
 فيقدم طلبه لإدارة المستخدمين بوزارة
 المعارف على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح
 في ميماد لا يتجاوز يوم ٢٣ مايو
 سنة ١٩٤٠ . ٦٧٨٤

السامية التي يزلونها ... وأسبت بين هاتين الرحلتين ما لا يعلمه
 إلا الله ... وإلا هذا للممدد اليسير من إخوانك ، وتقلبت بين
 بيروت وبغداد والقاهرة ... وحفظ لك الناس صورة بارعة تحوطها
 حالات الإعجاب والإكبار والتقدير ، فليهنك هذا ... وليهنك
 أنك ساهمت في كل مشروع ، وأنتك تقدمت لكل عمل منذ
 كنت يافماً في الثانوية ، وشاباً في الحقوق ، وقائداً وخطيباً في
 لبث الثورة وجحيم الاضطرابات ... فتاريخك - مع هذه الحفنة
 للصادقة من الشباب - أبعد من أن تحده بهذه الحدود الضيقة
 من الوزارة والديوان ، وما عليك أن تاتي اليوم هذا الضيق ،
 وهذا التجاهل ... فذلك تأريث لذمتك ، وإيقاد لشماتك

أما للشهادات ... هذه الأوراق السحرية التي يحملونها حين
 يترجون نصاً لابن المقفع ، أو يميزون بين مضارع « قال » ،
 ومضارع « وعد » ... ويعودون بعدها من أهل اللرية ...
 فهي ليست أكثر من أن تكون بمثابة (الشيك) على (خزنة
 الحكومة) ... ولكنها لن تكون قط السبيل إلى قلوب الناس
 وضمير الزمن وسجل الخلود ...

لن تظلمك دمشق هذه المدينة الصابرة الوفية ... ولن تجزيك
 عن البر بالنكر ، وعن الإحسان بالإساءة ، فلقد خلدت منها كل
 سور الجلال ، ومواطن الجلال ، ومجال للمنظمة ... ولقد نشرت
 على الناس صورها الزائفة في مآذنها المتألمة ، وقبابها لتناهضة ،
 ومساجدها المترعة بالنور والفيض ، وبساتينها الملأى بالحسن
 والجمال ... وقوطها للضحكة على رغم هذا الزمن العابس ...
 وإن ما تلقاه الآن من أوضاع ، وتجده من أذى ، لا يتصل بدمشق
 ولكنه محمول عليها ... فدمشق مخلصه نبيلة ... آوت من قبل ألوان
 البشر ، وآلاف الملأ ، وفتحت صدرها للناس من كل مكان ،
 تلقاهم بالتحية للضحكة ، وترامهم بالود الخالص ، وتنزلهم منها منزلة
 الولد وللصاحب والرئيس ! ... ولن تنسى أبنائها لأنهم كل
 ما أبت لها يد الزمان للنادر ... إن قلبها ليرام ويحوطهم ،
 ويهز لهم هزة الحب. ولئن عميت طائفة عن هؤلاء الأبناء ، وعن
 هذا للنور الذي ينسكب من وجوههم وقلوبهم ؛ فإن طوائف
 وطوائف أخرى تتطلع إليهم بأعناقها ... وإنها لتنظم لهم من